بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين لإخفاء الإمام موسى الصدر وأخويه

عيش واحد في مواجهة حرّاس التخلّف وتجّار الطائفية

الوفاق/ خاص
د.خليل حمدان

تـأتي الـذكـرى السـنـويـة الخـامسـة والأربعون لإخفاء الإمام السيد موسى الصدر واخويه سماحة الشيخ محمد يعـقـوب والـصـحـافي السـيـد عـبـاس بـدر الـديـن ولـبـنـان يـعـانـي من ازمـات متلاحقة على اكثر من منحى وصعيد في ظل شلل عمل الادارات في الدولة اللبنانية كنتيجة لإستمرار الفراغ في موقع رئاسة الجمهورية وصولا الى حكومة تصريف الاعـمـال. كل ذلك ماكان ليحصل لـولا تلك المواقف المتعنتة ظاهرها يتستر بالحرص على مستقبل البلد وباطنها يكمن بالاسـتـقـواء بالطائفة على الوطن بالرغم من انسداد الافق وعدم القدرة على تحمل تمرير الوقت الذي لانملك ترفه، فيما الاستحقاقات الداهمة والقريبة جدا قد تضاعف من حدة الازمة التي بات عمقها غير منظور، ما ينذر بالكارثة اذا لم نتداركها بفتح مغاليق اللقاء والحوار لتجسير الهوّة وصولا لرتق هذا الانقسام المتمادي بتواصل حواري دعى اليه الرئيس نبيه بري تجنبا لما هو أخطر وأمر، وهنا تبدو الوطنية الحقّة بالابتعاد عن الشعبوية واتخاذ مواقف قد تخسر فيه بعض القوى تصفيق الضعفاء وضجيج الانفعاليين الذين يضربون بالمصلحة الوطنية عرض الحائط.

ومـمـا لا شـك فـيـه ان سـلـوك طريق الانـهـيـار هـو نـوع من انـواع الارهـاب الـفـكـري خـاصـة وانـهـم يـضـربـون منظومه القيم المرتكزة على اللقاء من اجل خدمة الانسان بتعبير الإمام السيد موسى الصدر الانموذج الذي معه تكمن سبل الخلاص نحو التعافي وعـمـلـيـة الـنـهـوض الـوطـنـي بـل ان ادراج رؤى الإمام الصدر في مواجهة المرتكبين باسم الدين يمكن ان تشكل خارطة طريق سليمة توصلنا الى بر الامان تفاديا للكثير من حالات التحلل والـتـفـسـخ بـعـدد مـن المـؤسـسـات والادارات وتجنب الوصول الى الشارع الذي ينقاد مع الاسف لبعض العابثين بمستقبل الشعب نفسه وما يشكل ذلـك مـن انـعـكـاسـات عـلـى صـعـيـد الاستقرار الامني والمعيشي. وها نحن نستعيد الذكرى السنوية الخامسة والأربـعـيـن لاخـفـاء الإمـام الـصـدر فنستحضر مواقفه التي لم تغب عن بال المخلصين، آخذين من معين مائه الثر قطرات ومن درره نثرات.

الإمـام الـصـدر وإرادة الـعـيـش المشترك

لم يأت الإمام الصدر الى لبنان اواخر الخـمـسـينـات مـن الـقـرن الـمـاضـي ليستكشف الـواقـع الـلـبـنـانـي الـذي يضم طوائف ومذاهب متعددة، بل ان لبنان يشكل له انتماء، فهو ارض الاجداد جذوره فيه وفروعه في ايران ولذلك كان كثير البحث عنه ويمتلك منظومة معرفية عن تركيبة هذا البلد. وكما اشار الإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره امام زواره عام ١٩٥٧:" ان السيد موسى الصدر وجـذُبُه واسـع الاطـلاع على الـواقـع الـلـبـنـاني وتركيبته الطائفية وهـمـوم المناطق فيه" ولـذلـك فان الإمام الصدر لم يتوسل طرق التعرّف على هـذا البلد بل اختـار لبنان لان ذاكرته وعلمه ووعيه ورسالته جعلته يراهن على ان يكون لبنان مدخلا حضاريا الى العالم بدل ان يكون حلبة صراع للمكونات الدينية او الطائفية. فالمطلوب والاجـدى بنظر الإمـام ان نضع الطوائف في سياقها الوطني الـذي يـحـفـظـهـا وتـحـفـظـه وهـذه القاعدة لا زالـت صالحة وهادفة، واعتبر الإمـام في بداية حضوره الى لبنان ان نجاح التجربة بين الطوائف بمثابة تحدٍ لعنصرية اسرائيل ونجاح التجربة اللبنانية،كمايعتبر فشلاًذريعاً لإدعاء العدو الصهيوني بعدم القدرة على تـعـايـش الاديـــان والـطـوائـف، والإمـام يـقـول اذا سـقـطـت تجربة لبنان فستظلم الحضارة الانسانية، ويضيف ايضا: ان التعايش ليس ملكاً للبنانيين بل امانة في يدهم.

الإمام لم يكن نظريا

ان رؤى وتطلعات الإمـام السيد موسى الصدر لم تكن مجرد مواقف اعلامية يغيب عنها التطبيق بل كان القائل الفاعل لما تمثل عنده من قيم انسانية انطلاقا من الشعور الوطني والقومي والانساني، وان كان من الصعب ان نحشد كل الأدلّة على انسجام النظرية والتطبيق في العيش الـواحـد والـحـرص عليه فلا بـد من ادراج بعض المواقف:

١- حضوره في الكنائس والمساجد والـجـامـعـات والانـديـة والـمـدارس وكلمته بمناسبة تقبل التعازي برحيل البابا يوحنا الثالث والـعـشـرون في صور حيث تحدث وشرح باسهاب رسـالـة الـسـلام على الارض للبابا الراحل نفسه وكان لها صدى ومدى يؤكد على سعة الاطلاع ومتابعته ما دفع باللجنة المنظمة لتتويج البابا بولس السادس لدعوة الإمام الى الفاتيكان لحضور حفل التتويج وكان للامام هناك في روما مواقف وصـــولات وجـــولات عـن هـدفـه الاديان من اجل الانسان معتبراً ان مـواجـهـه الظلم شرط اسـاسـي من مهام جميع الاديان.

٢- اقـامـة احـتـفـال انـتـقـال السيدة العذراء في بلدة شقراء في ١٥ اب عام ١٩٦٤ حيث تحدث عن السيدة الطاهرة السيدة العذراء وعن رسالة السيد المسيح بوجه لصوص الهيكل المعتدين كما تحدث ايضا الاب غـريـغـوار حـداد في ذلـك الاحـتـفـال مستخلصا المعاني والعبر من اقامة هذا الاحتفال على تخوم فلسطين المحتلة. والسؤال الكبير لماذا اختار الإمام الصدر ان يقيم مناسبة انتقال السيدة العذراء في بلدة شقراء التي لا يوجد فيها مسيحي واحد بل هي بلد العلماء كالعلاّمة السيد محسن الأمين والسادة آل الأمين. والاجابة واضحة: ان الإمام كان يريد ان يعمم فكرة العيش الواحد لتكون الاعياد في خدمة لبنان ولمواجهة المشروع الصهيوني القائم على العنصرية ودرءاً لخطر التشوهات التي قد تحصل بالنظام اللبناني اذا اسقط تجربة العيش الـواحـد. ذلـك لأن الـصـراع قد يكون العامل الاوحـد لـقـوى لا يجمعها حوار ولقاء.

٣- اعـتـراف الإمـام بالاخـر والتكامل معه؛ في حـواره الى مـداه الابـعـد وما بات معروفا بتاريخ ١٩٧٧/١/١٧ يـقـول الامـام "" ان كلمة البطريرك خـريـش في عـيـد الـمـيـلاد هي وحـدهـا تـصـلـح لان تـكـون ورقـة للبحث السياسي المستقبلي"" تصلح حتى ان تكون الخيارات فليكن لنا وطن يرسمه البطريرك في رسالة الميلاد الاخـيـرة، ان هـذا الـتـنـاغـم يؤكد على اهمية التبادلية والغيرية وهو منهج حضاري اجتماعي متطور اطلق عليه الفلاسفة المنهج الاجتماعي الغيري انا أكون لأننا نكون .

٤- مواجهة الاعتداءات الصهيونية عـلـى لـبـنـان وانـشـاء هـيـئـة نـصـرة الجنوب؛امام التلكؤ الرسمي والبرودة الحكومية في مواجهة الاحداث وبعد النزيف الحاد والهجرة القسرية لابناء الجنوب، دعا الإمام الصدر الرؤساء الروحيين في الجنوب لتدارس الاخطار ومـعـالـجـة الـوضـع، وتـشـكـلـت هيئة نصرة الجنوب من كبار العلماء ورجال دين مسلمين ومسيحيين وبتاريخ ١٩٧٠/٥/٢٠ حيث اقرت هذه الهيئة بيانا اعدّه الإمام الصدر واذاعه بنفسه قائلا :"ان الجنوب لفي خطر ولا يخالنّ خـائـل اذا سـقـط الـجـنـوب أن سياجا من السحر يسور لبنان او خيمة من الغيب تغطي عليه وشواهد التاريخ شـواهـد على امم بادت واوطـان زالت وقوميات غدت كاساطير الأولين! انهم لنصرة الجنوب ونصرة لبنان ولا تنتظر وقوع الكارثة فاما ان نكون شعبا مؤهلا للبقاء جديراً بالاستمرار او شعبا سقط في مستنقعات الوجود ثم انسحق بين دواليب الزمن"" واضاف البيان:" ان عضوا من وطنكم اليوم يمشي اليه البتر ان جزءا من تاريخكم وهو الاعظم يرقد الى القبر ان ساعة النفير تدق بتجميع وتجنيد سائر الطاقات والامكانات المالية والمادية والمعنوية والخدمات لمجابهة هذا الخطر الذي يهب من الجنوب ويهدد كل لبنان"".

فعاماً بعد عام والإمـام الصدر يتألق حضورا في قلوب الناس حيث شاء ان يكون عرشه محروسا بعيون المقاومين سره امل المعذبين وصرخة مستمرة في وجه الطغاة معتمدا على الناس، فيدهم تضارع عزيمته قوة واقتدار خطب في الناس بالشوارع فصلوا وامهم في المساجد فثاروا، يسترشد القران ويصدح باسم الله خذوا زينتكم عند كل مسجد وبمأثور الكلام السلاح زينه الرجال فهو العصي على الغياب، بل يأبى الاختزال في سيرته ومساره، تجربته باتت نقطة الارتكاز والبوصلة حارب العدوان الصهيوني والحرمان والنداء احـذروا العصر الاسرائيلي اذ لا يمكن لسيادة العصر الاسرائيلي ان تبصر النور الا بتهويد القيم ويبقى الإمام حارس صحوتنا، وفي كلماته وموقفه المؤشر السليم لحركة الانسان نحو الله في خدمة اخيه الانسان ويبقى الانتظار لأهل الانتظار وكلمة السر العمل من اجل الانسان.

أجـل، لـقـد سـحـقـت عـجـلـة الايـام المجرم معمر القذافي الذي سيذكره الـتـاريـخ طـاغـية يمتهن التمادي بالاعتداء على الانسانية والانسان وإن اخفى الإمام الصدر واخويه، فإن كل القيود لم تحل دون حضورهم في ساحة الجهاد والعطاء، سيعودون وسيعود الإمام ليحاكي المقاومين.. شهداء وأحياء، وتستمر مسيرة إزالة الحرمان وبناء لبنان.

> إدراج رؤى الإمام الصدر في مواجهة المرتكبين باسم الدين يمكن أن تشكل خارطة طريق سليمة توصلنا الى بر الامان تفاديا للكثير من حالات التحلل والتفسخ

قراءة في عقيدة نتنياهو الأمنية.. إسقاط الحسم

أيمن الرفاتي
كاتب ومحلل سياسي

يـبـدو أن الـتـطـورات الـمـيـدانـيـة والـمـعـارك الـقـويـة، الـتـي خاضتها المقاومة الفلسطينية، إلى جانب تعاظم قوة محور المقاومة خلال الأعـوام الماضية، دفعت القيادة السياسية في "دولـة" الاحتلال إلى تغيير العقيدة الأمنية الخاصة بها. فبعد أن تنازلت عن مبدأ "الانتصار في المـعـركـة" يـتـنـازل نتنياهو، في وثيقة جديدة، عن مبدأ "الحسم". فعلى عكس خطة "جدعون"، التي وضعها غادي آيزنكوت، رئيس هيئة الأركان السابق، وخطة "تنوفا"، التي وضعها أفيف كوخافي، رئيس الأركان الأسبق، فإن خطة "رياح الجنوب"، والـتـي تـهـدف إلى تحقيق الحسم العسكري في الحرب ضد حماس والفصائل في قطاع غـزة، تـنـازل نتنياهو فيها عن أهمية "الحسم في المعركة" على عكس الخطط السابقة.

بـصـورة عـامـة، فـإن اسـتـراتـيـجـيـة مـمـارسـة الـقـوة لجيش الاحـتـلال تعتمد عـددا مـن المـبـادئ، هي: الردع، والإنذار، والدفاع، والحسم، والانتصار. ونتيجة للمتغيرات في العقد الأخير، تم حذف مبدأ الحسم أو إسقاطه، وتغيير مفهوم الانتصار، بينما جاء نتنياهو هذه المرة ليضع "المجتمع" الإسرائيلي و"الجيش" أمام حقيقة، مفادها أنه لا يوجد شيء اسمه حسم. فلا القوة الهائلة، ولا السرعة في تنفيذ العمليات العسكرية، ولا تكبيد العدو أكبر قـدر مـن الـخـسـائـر في الأرواح والمقدرات، قادرة على تنفيذ هذا الحسم. وبحسب الوثيقة، التي وضعها نتنياهو بعنوان "المفهوم الأمـنـي لـعـام ٢٠٣٠"، فـإنّ على "إسرائيل" أن "تردع أي عدو يهدد باستهدافنا بصورة قاتلة، أو القضاء علينا"، وعليها تنفيذ ذلك من خلال "أربعة عناصر قوة، هي: الأمنية، الاقتصادية، السياسية، والأهم من جميعها قوة روحانية".

وقد جاءت الوثيقة، التي أطلقها نتنياهو، محاولة لإسكات الأصوات التي انتقدته والجيش خلال الأعوام الماضية لأنهما لا ينتصران، ولأنهما، في الغالب، يخرجان من المعارك والـحـروب بالـتـعـادل الأقـرب إلى الـخـسـارة، وخـصـوصـاً أن كل العمليات العسكرية الإسرائيلية، وتحديداً ضد قطاع غـزة، اضطر الاحتلال إلى إيقافها من دون حسم واضح أو تغيير استراتيجي.

عقيدة نتنياهو تـروّج المعقولية في الـتـفـكـير الإسـرائـيـلي بـعـيـداً عن الضغوط والحساسية العالية تجاه نتائج المعارك، إذ دلل نتنياهو على ذلك بالقول: "عندما لا يكلفنا عدم حسم المعركة ثمناً غير باهظ، في الإمـكـان إنـهـاؤهـا مـن دون حسم قاطع"، أو أنه "في المواجهات التي فيها الإنجاز السياسي المطلوب لا يلزم بحسم الـعـدو، فإنه في حالة كهذه نلائم رداً محدوداً".

من ناحية أخرى، يسعى نتنياهو لاسـتـرضـاء "الـجـيـش" وقـيـادتـه الـعـسـكـريـة، الـتـي تـعـمـدت نـشـر استراتيجيتها منذ عام ٢٠١٥ كي لا تتحمل مسؤولية الفشل في المعارك العسكرية، بحيث يقول نتنياهو، من خلال استراتيجيته الأمنية، إنه ليس من حق أحد انتقاد الجيش إذا لم يحسم المعركة، لأن المستوى السياسي لم يعد يطلب إليه ذلك، بصورة صريحة.

عـلاوة عـلـى ذلـك، فـإن نتنياهو يعيد صياغة مفهوم الجيش بشأن "المعركة بين الحروب"، بسبب تـراجـع دورهـا في تـحـقـيـق النصر السريع للجيش في الحروب الكبرى، إذ تـحـدث نتنياهو عـن مـواجـهـة وصـول المـقـاومـة إلى سـقـف من الـقـوة لا يمكن تـقـويـضـه، إذ قال "إننا بين الحروب نعمل من أجل اسـتـهـداف خـطـوات أعـدائـنـا في بـنـاء الـقـوة تحت سـقـف الحرب. ولن نسمح بأن يتجاوز تعاظم قوة أعدائنا سقفا لا يمكن تقويضه، أو في حال وجود إنذار بشأن مفاجأة استراتيجية"، وتم شطب كلمات "سننفذ ضربة استباقية".

يتناقض المفهوم الجديد لنتنياهو مع تعريف مفهوم "المعارك بين الـحـروب" والـتـي تُـعـرّف بحسب وثيقة استراتيجية الجيش، عام ٢٠١٥، بأنها شنّ حملات عسكرية محدودة جداً، هدفها توفير أطول فـتـرة هـدوء ممكنة عـبـر إضـعـاف "عـنـاصـر الـقـوّة الـسـلـبـيـة" لـدى الخصوم، ومنعهم ولو بالقوّة، من تطوير قدراتهم كي لا يستطيعوا "كـسـر مـوازيـن الـقـوّة"، وتـوفـيـر الظروف لتحقيق "دولة" الاحتلال "النصر السريع" في حال دخلت أي حرب مستقبلاً.

المفهوم الجديد لدى نتنياهو جاء نتيجة لفشل مفهوم المعركة بين الـحـروب، بـعـد أن لـم يـنـجـح هـذا المعيار في تحقيق هدفه المطلوب على مـدى الأعـوام المـاضـيـة، إذ استطاعت أطراف المقاومة تجاوزه ومراكمة القوة كمّاً ونوعاً، وباتت اليوم تمثل، عبر تكتلها ضمن حرب متعددة الجبهات، خطراً وجودياً ثانياً، إلى جوار الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وفي نقطة أخرى، على عكس جميع الـخـطـط الـسـابـقـة، الـتـي تـتـنـاول العقيدة الإسرائيلية، تحدث نتنياهو عـن الـتـحـالـف الـخـارجـي والحلف الاستراتيجي الأخلاقي مع الولايات المتحدة كبعد جديد في العقيدة الأمنية الإسرائيلية، مشدداً على أن واشـنـطـن سـتـقـدّم مـسـاعـدات إلى "دولـة" الاحـتـلال خـلال الـحـرب، لكنه اسـتـدرك كي لا يـقـع في حرج داخلي، بالقول إنه "على رغم ذلك، فـإن عـلـيـنـا أن نـكـون مـسـتـعـديـن للدفاع عن أنفسنا بقوتنا الذاتية".

إنَّ الوثيقة الاستراتيجية الأمنية لنتنياهو تـؤكـد أنـه لا مـعـنـى لأي تـصـريـحـات مـن الـمـسـؤولـيـن الإسرائيليين، سواء أكانوا سياسيين أو عـسـكـريـيـن، خـلال الـحـروب والـمـعـارك بـشـأن انـتـصـارات عـسـكـريـة، أو قـدرة إسرائيـلـيـة على حسم المعركة بذاتها، إذ إن المستويين السياسي والعسكري تخلّيا عن مبدأ الحسم، ويصب كل منهما جهده في المحافظة على بقاء "دولة" الاحتلال خلال المستقبل المنظور.

> إن إستراتيجية ممارسة القوة لجيش الاحتلال تعتمد عدداً من المبادئ، هي: الردع والإنذار والدفاع والحسم والانتصار. ونتيجة للمتغيرات في العقد الأخير، تم حذف مبدأ الحسم أو إسقاطه، وتغيير مفهوم الانتصار